الدرس (3): أهداف الثورة الإسلامية وقيمها

مفهوم الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي

(دورة التعرّف على المنظومة الفكرية لسماحة الإمام الخامنئي)

الدرس (3): أهداف الثورة الإسلامية وقيمها

الأستاذ: سماحة السيد كميل باقر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الإخوة والأخوات، السّلام عليكم ورحمة ا.

نواصل معكم مباحثنا حول مفهوم الثورة الإسلامية من منظار قائد الثورة الإسلامية، ضمن دورة التعرّف على المنظومة الفكرية لساحة الإمام الخامنئي دام ظلّه، والتي يقيمها معهد الثورة الإسلامية.

في الجلسة السابقة أشرنا إلى أهمّ المبادئ الفكرية والأسس العقائدية للثورة، وفي جلستنا هذه سنتعرّض إلى «أهداف الثورة وقيمها الرئيسية». معرفة أهداف الثورة وقيمها مهمة جداً لفهم هويّة الثورة من جهة، ومن جهة أخرى سوف تساعدنا في تقييم حركة الثورة وإنجازاتها بناءً على مدى تحقيق هذه الأهداف.

بشكل أساسي وإلى درجة كبيرة، يمكننا أن نعرف أهداف الثورة من خلال الشعارات والهتافات التي كان يُطلقها الشعب في مسيراته ومظاهراته منذ انطلاق النهضة الإسلامية، وكان يردّدها دائماً في التجمّعات والجامعات والمساجد والمدارس والأسواق وفي كلّ مكان كان بإمكان الشعب أن يعبّر فيه عن آراءه، والتي كان الإمام الخميني وقيادات الثورة يؤكدون عليها نفسها في محاضراتهم ومكتوباتهم.

في الحقيقة تلك الشعارات لم تكن هتافات فارغة أو كلمات عابرة، وإنّا كانت مطالب الشعب الأساسية، وجميع أبناء الشعب كانوا متّفقين عليها، وكانت تعبّر عن أهدافهم وآمالهم وتطلّعاتهم من ثورتهم. لذلك يقول ساحة القائد: «كان هدف الشعب هو كسب الاستقلال والحرية في ظل الإسلام. شعار «استقلال، حرية، جمهورية إسلامية » الذي شاع زمن الثورة كان تعبيراً عن مكنون قلوب الناس. كان الناس يريدون ذلك. »

بالعودة إلى تلك الحِقبة الزمنية نجد أنّ أهمّ أهداف الشعب من ثورته كانت عبارة عن الحرية، والاستقلال، والعدالة، والتقدّم والرفاه، وحاكمية الأخلاق والمعنوية، وسيادة الشعب وتمكنه من تحديد مصير البلاد، والتمتّع بحياة طيّبة وعيش كريم يكون نموذجاً لبقية الشعوب وخصوصاً الشعوب المسلمة. هذه النقاط وهذه المفاهيم كانت من المفاهيم السائدة والرائجة جداً في أوساط الشعب في حديثهم حول المقصد والهدف من الثورة. لذلك سنلقي نظرة سريعة إلى كلٍّ من هذه المفاهيم الأساسية وسنتعرّف عليها من خلال كلمات ساحة الإمام الخامنئي.

لكن قبل ذلك لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الأهداف السامية والقيم العالية تندرج كلّها تحت كلمة «الإسلامية » في عبارة «الثورة الإسلامية ». وهذا ليس إلا بناءً على تلك المعرفة العميقة بالإسلام والقراءة الصحيحة له التي ذكرناها في الجلسة الماضية. لأنّ الإسلام أصلاً عبارة عن مثل هذه القيم،

وعندما نقول هذه الثورة ثورة إسلامية معناه أنّه توجد فيها هذه المفاهيم الرفيعة. ولأنّ الشعب شعبٌ مسلمٌ ومؤمنٌ وملتزمٌ بهذا الدين فهو يطالب بتحقيق هذه القيم والمفاهيم ويهدف إليها في ثورته. يقول ساحة الإمام الخامنئي: «الإسلام هو أساساً هذه الأمور. ومن تصوّر عن الإسلام غر ذلك فإنّه لم يعرف الإسلام. كلّ تلك الأمور التي ذكرناها سواء أمور المجتمع الدنيوية -كالعدالة، والأمن، والرفاه، والروة، والحرية، والاستقلال- أو أمور الآخرة -كالفلاح، والتقوى، والتسامي الأخلاقي، والتكامل المعنوي للإنسان- تندرج كلها في كلمة «الإسلامية .»»

أمّا الهدف الأول، الحرّية. الحرّية من القيم الإنسانية والإسلامية الأساسية، والإسلام هو رافع راية الحرّية، وهي من أهمّ الأهداف في الثورة. الحرّية بمعنى حقّ اتخاذ القرار والعمل والتفكر والتعبير والقيام بالأنشطة الاجتماعية لكلّ أفراد المجتمع، وهي مبنيّة على أساس التوحيد وتكريم الإنسان.

الحرّية عطية من ا سبحانه وتعالى للإنسان وليس تفضّلٌ تجود بها الحكومات على الشعوب، وإنّا من واجب الحكومات تأمينها للشعوب. لم تكن الحرّية موجودة في البلد قبل الثورة بالمعنى الحقيقي، وكان النظام الطاغوتي يمارس أنواع الضغوط ويفرض أنواع القيود على الشعب ولم يكن يسمح للشعب أن يتنفّس. يقول ساحة الإمام الخامنئي: «نحن نؤمن بحرّية التعبير وحرّية النشاطات الاجتماعية، بل إنّ هذه المفاهيم والحقائق جاءت بها الثورة، إذ لم يكن لها أيّ وجود في هذا البلد سابقاً، ولم يكن هناك أيّ ذكر وأيّ اسم لها. إنّ الثورة جاءت بهذه الأمور في البلاد. »

طبعاً الشعب المؤمن الثوري يطالب بهذه الحرّيات ضمن نطاق الشرع والأخلاق والقيم الإلهية، ويرفض بحزم وصراحة حرّية الفساد والانحلال الأخلاقي والمُجون، وحرّية الكَذِب والتزييف والخداع، وحرّية الظلم والاستعباد والتعدّي على حقوق الشعوب، والتي يرتكبها الغرب ويحمل رايتها.

أمّا الهدف الثاني من أهداف الثورة هو الاستقلال. بتعبير القائد في بيان الخطوة الثانية، الاستقلال أيضاً في حقيقته حرّية، لكن حرّية على صعيد الشعب والدولة. الاستقلال يعني أن يكون الشعب والمسؤولون أحراراً في اتخاذ قراراتهم، وأن لا يرضخوا لإرادة الأجانب ولا يخضعوا لهيمنتهم في جميع الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية.

الاستقلال السياسي يعني أن يأخذ المسؤولون قراراتهم بشأن البلاد بناءً على المصلحة التي يرونها ودون أن يشعروا بأيّ ضغط وتأثير من جانب القوى الخارجية المُهيمِنة، وأن يكون الخيار بيد الشعب في دعمه لقرارات المسؤولين والسماح لهم باستمرار عملهم أو إبداء مخالفته لهم أو حتى استبدالهم بغيرهم. والاستقلال الاقتصادي والذي هو أصعب من الاستقلال السياسي هو يعني أن يعتمد البلد على نفسه في توفر حاجاته الرئيسية، وأن يكون قوةً في المعادلات الاقتصادية العالمية والتعاملات التجارية ، بحيث لا يمكن وضعه جانباً بسهولة أو إسقاطه بسهولة. وإذا لم يتحقّق الاستقلال الاقتصادي لن يتحقّق الاستقلال السياسي. لأنّ الأعداء سيفرضون إرادتهم السياسية على البلد من باب الاقتصاد والحاجات الاقتصادية.

وطبعاً أهمّ أنواع الاستقلال هو الاستقلال الثقافي. لأنّ التبعيّة الفكرية والثقافية تؤدّي إلى أن تصبح البلاد تابعة في الاقتصاد والسياسة وتفتح المجال أمام العدوّ للهيمنة على جميع مصادر القرار. والاستقلال الثقافي مرتبط بمفهوم «نمط الحياة » وإن شاء ا في الجلسات القادمة سوف نرح لكم هذا المفهوم وأهمّيته في الثورة الإسلامية.

أمّا الهدف الثالث في الثورة الإسلامية هو السيادة الشعبية الدينية أو بعبارة أخرى، الجمهورية الإسلامية. الشعب منذ الشرارات الأولى في النهضة الإسلامية كان يتطلّع إلى إسقاط نظام الحكم الدكتاتوري واستبداله بنظام شعبي إسلامي. صفة «الشعبيّة » أو «الجمهوريّة » معناها أن يكون للشعب دور فعّال وحقيقي في تشكيل النظام الحاكم وفي تعيين وتنصيب مسؤوليه، وليس دور شكلي وظاهري كما هو الحال في بعض الديموقراطيات، فضلاً عن الدكتاتوريات التي لا رأي فيها للشعوب أصلاً. الجمهورية أو سيادة الشعب معناها حاكمية أفراد هم من الشعب ومع الشعب ومنتخبون من قبل الشعب. أمّا صفة «الدينيّة » أو «الإسلاميّة » تعني أنّ هوية النظام الحاكم هويّة إسلامية ونابعة من الإسلام، وأن يكون مسار النظام وبوصلته ووِجهته ومضمونه ومحتواه إسلامياً.

وأمّا الهدف الرابع للثورة الإسلامية هو العدالة ورفع الظلم ومكافحة الفساد. العدالة تعني أن يحصل كلّ شخص على حقّه في المجتمع، و أن يكون جميع أفراد المجتمع على حدٍّ سواء أمام القانون، وأن يكونوا مُتساوين في حقهم في الانتفاع من مزايا الحياة والاستفادة من الثروات العامة. وهذا كان الهدف الأساسي في ثورة الأنبياء. بتعبير الإمام الخامنئي في بيان الخطوة الثانية: «تقع العدالة في

صدر قائمة الأهداف الأولى لبعثة الأنبياء، ولها في الثورة الإسلامية أيضاً المنزلة والمكانة ذاتها. إنّها كلمة مقدّسة في كلّ الأزمنة والبلدان ولن تتحقّق بشكلها الكامل إلا في دولة الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه، لكنّها ممكنة بنسبة ما، في كلّ مكان وزمان، وهي فريضة على عاتق الجميع خاصّة الحكام. »

أمّا الهدف الخامس من أهداف الثورة الإسلامية هو التقدّم العلمي والاقتصادي والرفاه المادّي. إذ إنّ البلد كان يعاني من التخلّف قبل الثورة، وكان الرفاه منحراً بأقلّية تحكم البلاد. طبعاً بناءً على رؤية الإمام الخامنئي يجب أن يكون التقدّم مصحوباً بالعدالة وأصلاً التقدّم من دون العدالة ليس تقدّماً حقيقياً. ولذلك نرى أنّ ساحته مرّ على أن لا يستخدم مصطلح «التنمية » بالمعنى الغربي، لأنّ العدالة ليست شرطاً من شروط التنمية في الفكر الغربي. يقول ساحة القائد: «إنّني لا أؤمن بالتقدم من دون العدالة. التقدم من دون العدالة ستكون نتيجته ما تشاهدونه في الحضارة الغربية.

إنهم يمتلكون الحد الأقصى من الثروة والقدرة والعلم والتقنية، ولكن في الوقت نفسه تلاحظون أنّهم يفتقرون للعدالة. ثمّة أناس يموتون من الجوع، ومن ناحية أخرى توجد ثروات هائلة متراكمة أسطورية لدى الآخرين. هذا معناه غياب العدالة في الغرب، وهذا شيء لا نريده، والإسلام لا يريده لنا. »

والهدف السادس من أهداف الثورة الإسلامية حاكمية الأخلاق والمعنوية في المجتمع. تزكية النفس وطهارة الإنسان والتهذيب الأخلاقي هو الهدف الأسمى للثورة، لأنّ فلاح الإنسان ووصوله للمقصد الأعلى متوقّف على هذه التزكية. يقول الله سبحانه وتعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى».

جاءت الثورة لي تتيح للشباب وللناس فرصةً لبناء الذات وإصلاح النفس، وهذه الفرصة لم تكن متوفّرة في ظلّ حاكمية الطاغوت، والظروف آنذاك لم تكن مساعدة لكي يشتغل الإنسان على بُعده الروحي والمعنوي والأخلاقي. يقول ساحة الإمام الخامنئي في بيان الخطوة الثانية: «المعنويّة والأخلاق هي الموجّهة لكلّ الحركات والنشاطات الفرديّة والاجتماعيّة وهي حاجة أساسيّة للمجتمع، ووجودها يجعل من أجواء الحياة جنّةً حتّى مع وجود النواقص المادّية، وعدم وجودها يجعل الحياة جحيماً حتّى مع التمتّع بالإمكانيّات المادّية. »

والهدف السابع والأخر من أهداف الثورة الإسلامية الأساسية هو إعادة إنتاج الحياة الطيّبة الإسلامية وجعلها نموذجاً وقدوةً يمكن للشعوب الأخرى الاقتداء بها. الحياة الطيّبة تعني تحقيق جميع الأهداف التي مرّ ذكرها سابقاً. إنّها تعني أن يتمتّع الشعب مادّياً وفي حياته اليوميّة بالرفاهيّة والأمن والعلم والعدالة والحرّية والعزّة والاستقلال والازدهار الاقتصادي، وفي الجانب المعنوي أن يعيش الشعب مؤمناً متّقياً صالحاً ومتخلّقاً بالفضائل المعنويّة وبعيداً عن الرذائل.

طبعاً إذا تحقّق هذا الهدف سوف يصبح هذا المجتمع النموذجي مثالاً وأسوة للآخرين. ولذلك يقول ساحة الإمام الخامنئي: «لو أردنا النظر بأفق أوسع، لقلنا إنّ إعادة إنتاج الحياة الطيّبة في بلادنا بوسعها أن توفّر نموذجاً صالحاً للعالم الإسلامي. فقد جئنا في الواقع لنُلفت العالم الإسلامي إلى هذه الحقيقة. لم يكن الهدف سوى هذا. إذاً، إنّ القضية لا تختصّ بإيران. أرادت الثورة أن تثبت للجميع أينا كانوا من العالم الإسلامي أنّ هذا النموذج ممكن التحقيق. كان هذا هدف الثورة. وكان هذا الهدف مطروحاً منذ البداية، وأقول لكم إنّه لا يزال قائماً اليوم أيضاً، وسيبقى في المستقبل. إنّه هدف ثابت. » إلى هنا أشرنا إلى أهمّ أهداف الثورة الإسلامية وقيمها الإنسانية والإلهية، لكنّ الوصول إلى هذه الأهداف يمرّ عر مراحل متعدّدة، ولذلك عندما نتحدّث عن الثورة الإسلامية في الحقيقة نتحدّث عن مسار مستمرّ وعمليّة متواصلة لتحقيق هذه الأهداف السامية.

في الجلسة القادمة سوف نتطرّق إلى مراحل الثورة الإسلامية وخطواتها في مسارها لتحقيق أهدافها الكبرى إن شاء ا.

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.